

الأستاذ: عموري السعيد

أستاذ محاضر -ب-

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة بجاية

مقياس مناهج النقد المعاصر سنة 3 ل م د. تخصص نقد وتحليل الخطاب

محاضرة التداولية

1- مفهوم التداولية:

مرت التداولية بمراحل متباينة في محاولة لتأسيس أو لتحديد مجال مفهومي يهيمن على تخومها على اعتبار أنها تلامس أكثر الحقول اللغوية وتشتغل في مساحة التواصل اللغوي من منطلق قيمة السياق الكلامي في تحديد وتداول المعنى وضمان حد ما لتواصله، فكيفية استعمال اللغة في الاتصال كان هم الدرس التداولي، ويمكن أن يكون موضوع التداولية إضافة سياق الاستعمال للدلالة، ف(يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفسه موضوع الدلالة الثابت، بإضافة سياق الاستعمال (contexte)¹ وطبيعة اللغة - في الدرس التداولي- تتحدد وتقيم في قيمتها التواصلية، يقول جفري ليج (لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة

¹ - fançoise latraverse.la pragmatique. Hstoire et critique .pierre mardaga. Bruxelles.p137

ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية- كيف نستعمل اللغة في الاتصال) والتداولية تتصل
بعديد الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في الدراسات اللسانية بصفة عامة، وقد
صار لها محاولات تطبيقية منشورة عبر دراسات عديدة تهتم بتطبيقات المنهج
التداولي في الابداع الأدبي وفي الشعر بخاصة، على الرغم مما انتقد به الدرس
التداولي من عدم قدرته تطبيق مبادئ المحادثة لغرايس على النص الأدبي لوجود
ميزة الخيال والمجاز فيه والتي تشكل مسافة نقل المعنى الحقيقي وغير المباشر
بين المخاطب والمخاطب.

لقد فرق سوسير بين اللغة والكلام جاعلا من الأولى انتماء وضعيا بينما
ينتمي الكلام إلى حقل الاستعمال للغة بغض النظر عن حالتها البنيوية، لذلك
عرفت التداولية بانها " دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية"²
وهو المنطلق الذي يقدم التداولية في صورة البحث عن القصدية من خلال
استعمال اللغة عبر السياقات ومن خلال قراءة أفعال الكلام وأنواع المعنى، وهي
كذلك -في خلفيتها النظرية الابيستيمية وخطواتها الإجرائية- تساعد محلي

²- محمد محمد بونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1،
2004، ص13.

الخطاب بكل أنواعه وبخاصة الأدبي منه في جانب الفهم ومقاربة مقصدية التواصل.

2- الجذور العربية للدرس التداولي:

ورد الجذر دول في لسان العرب لابن منظور على أشكال عديدة تجتمع في كونه يؤدي فعل الانتقال وقد ورد "في حديث الدعاء: حدثني بحديث سمعته عن رسول الله ، لم يتداوله بينك وبينه الرجال، أي لم يتناقله الرجال وترويه واحدا عن واحد، إنما ترويه أنت عن رسول الله ﷺ³.

يرجع المصطلح إلى مادة دول وقد وردت على أصليين أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان لآخر، والآخر يدل على ضعف الاسترخاء فقال أهل اللغة **أندال القوم: معناه تحولوا من مكان لآخر، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذ صار من بعضهم.**

والدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هنا.

³- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981. ص1455

فمدار اللفظ في مادة دول هو التناقل والتحول بعد أن كان مستترا في موضع ومنسوبا إليه وقد اكتسب مفهوم التحول، ولعل الصيغة الصرفية التي عرف بها تجعله أكثر دلالة على التناقل والتحول وتعدد الحالة. وهي الدلالات التي تناقلتها المعاجم الأخرى، فقد قدمها الزمخشري في أساس البلاغة على أنها التناقل و" الله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم.. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في أثر بعض"⁴ ويمكن أن نخلص إلى أن للمفهوم مجالات منها:

الاسترخاء للبطن بعد أن كان في حال أخرى غيرها (أندال البطن)

التحول من مكان إلى مكان (اندال القوم)

التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (اندال المال)

الانتقال من حال إلى حال (الحرب)

التمكين من حال دون آخر (الدولة) ومنه فهي تعنى بما يفعل الانتقال

والتعدد

⁴- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998. ص303.

تتوافق مجموع تلك المعاني الدالة على التناقل والتحول من حال إل حال، مع طبيعة اللغة ذاتها كونها ظاهرة اتماعية متحولة ومتداولة تعتمد معانيها على مستوى السياق الذي يضمن حدا أقصى للمعاني اللفظية القارة، فاللغة منتقلة بين الناس يتداولونها بينهم منذ الأبد إلى الأزل، ومن أجل ذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية ... وغيرها.

3- أسس التداولية في تحليل الخطاب:

تقوم التداولية على مفاهيم ثلاثة يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي⁵:

أ- مفهوم الفعل: يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قسّم أوستن الأفعال إلى إنجازية *actes performatifs* وتقريرية أو واصفة *actes constatifs*؛ بحيث يقترن في الأولى الإنجاز بالتلفظ نحو بعت، اعتقدت.. فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو

⁵- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص26-30

اقتربت الساعة، إلى جانب ذلك فقد قسم سيرل الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف (التأكيدات، الأوامر، الالتزامات، التصريحات، الإدلاءات) وهو تقسيم يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.

ب- مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال

ج- مفهوم الكفاءة: ويعتبر مفهوم الكفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق أو هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق وبناء على ذلك تتحدد كفاءة وميزات المتكلمين.

إنّ سيرورة العمل التخاطبي للوصول إلى المعنى يتحدد عبر سيرورة خطية تنطلق من المتكلم الذي يحاول إنجاز خطابه، مروراً بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل وصولاً إلا احتياجات السامع الذي يكيّف الرسالة وفق احتياجاته. وإذا كانت التداولية تعنى بالجانب التواصلية وتحاول - كما يرى بيرس - أن تكون منهجاً من أجل تقرير دلالة الألفاظ الغريبة، فإنها تُعنى أساساً في إجراءاتها التطبيقية (بفهم الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في

البحث عن طبيعة وضعها انطلاقاً من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظامية أو المعطيات السياقية)⁶.

4- مبادئ المنهج التداولي:

يركز المنهج التداولي في جانبه النظري والتطبيقي على التوضع في مجال مفهومي يفرق بين وضع اللغة وبين استعمالها، ذلك أن دلالة الوضع كما يعرفها اللغويون هي دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة بغض النظر عن السياق التخاطبي بينما دلالة الاستعمال هي دلالة اللفظ والجملة على المعنى ضمن سياق معين.

إنّ استعمال اللغة هو جوهر الدرس التداولي على الرغم من استناده على الوضع وقيامه عليه على اعتبار أن الأخير هو نقطة التقاء واشتراك بين المتكلمين، ولكن استناد الاستعمال إلى الوضع اللغوي أمر نسبي لأن الاستعمال يجوز الوضع على أساس اختلاف السياقات الذي يستلزم اختلاف المعاني، ومنه جاء معنى المجاز اللغوي. لذلك يمكن الحديث عن دور المنهج التداولي في

⁶ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007، ص403.

النصوص الإبداعية التي تعتمد على جماليات المجاز اللغوي في انفتاح المعنى وبناء جسوره بين القارئ والكاتب.

لعلّ أبرز ما يظهر في العملية التخاطبية هو قيمة الخطاب المرسل، أو مدى نجاح المُخاطب في إرسال خطابه وتبيان معناه، ويعد مقياس غرايس لمبادئ المحادثة معياراً هاماً قدمه التداوليون في محاولة ضمان حد أدنى لضمان نجاح الخطاب، على اعتبار أن غرايس يعتبر المحادثة عملية مشاركة ومعاونة بين المتكلمين، فقد صاغ "مبدأ التعاون الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب وهو يرى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية"⁷ ويمكن تلخيص هذه المبادئ كالتالي:

- الكمية (مبدأ الكم) **Quantité**: أن يكون الخطاب غنياً

بالأخبار بشكل كافٍ فقط دون زيادة بحيث "نقل ما هو ضروري بالضبط

ولا نزيد أكثر من الضروري" فنحدث بالقدر الذي يضمن تحقق الغرض.

⁷- محمد يونس علي. مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004. ص. 99

- **الكيفية (مبدأ الكيف) Qualité:** أن يكون الخطاب صائبا

وحيقيا اعتقادا ولا يفقد البرهنة على ذلك فلا "تقل ما تعتقد أنه كاذب ولا تقل

ما لا تستطيع البرهنة على صدقه"

- **الصيغة (مبدأ المناسبة) أو حكم الكلام Modalité:** أن يكون

واضحا غير مبهم موجزا منظما فيجب "أن يكون كلامك مناسبا لسياق

الحال"

- **العلاقة Relation:** أن يكون دقيقا وأن تكون المساهمة دالة

(ذات بال) للحديث.

على الرغم مما انتقدت به آراء غرايس في مبادئ المحادثة إلا أنها بقيت

أساسا للدرس التداولي، فقد عيب عليها كونها قاصرة في تطبيقاتها على ولوج

واستيعاب مسافة التواصل بين متلقي ومبدع النص الأدبي؛ فمبدأ الصيغة والعلاقة

لا يمكن أن يأخذ بهما النص الشعري أو الإبداعي على اعتبارات اللغة المجازية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981. ص 1455

2- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998. ص 303.

3- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007، ص 403.

4- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص 13.

5- محمد يونس علي. مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004. ص 99-

6- نوري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص 26-30

7- Histoire et pragmatique. la traversée française

pierre mardaga. Bruxelles.p137 critique